

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد - كلية التربية - ابن رشد

قسم علوم القرآن الكريم والتربية الاسلامية

الأديان السماوية وأثرها في بناء الانسان

(دراسة موضوعية)

إعداد

الاستاذ المساعد الدكتورة

نضال حنش شبار الساعدي

٢٠١٥م

٥١٤٣٦

## بناء الإنسان في الأديان السماوية

مما لا جدال فيه أن الأديان السماوية التوحيدية ترتبط بحلقة وصل وثيقة وعميقة لا يمكن التغاضي عنها، خاصة فيما يتعلق بالإنسان فهو محور نصوصها التشريعية من حيث الموضوع والغاية، كيف لا وهي نزلت من أجل بناء الإنسان وإعداده اعداداً يسهم في بناء الارض وإصلاح الخلق بما يرضي الخالق؛ ولذلك كانت تلك الأديان السماوية تتجدد كل مئة عام كما جاء عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (يبعث الله على رأس كل مئة سنة من يُجدد لأمتي أمر دينها)<sup>١</sup>، وهذا يعني أننا بحاجة إلى الرجوع إلى أصالة الدين فهو منبع واحد لجميع الأديان السماوية وهو ما يتطلب منا وضع رؤية واضحة تسهم في بناء الانسان بناءً ينسجم مع قيم الرسالات السماوية في المحبة والمؤاخاة والعفو والتسامح فالخلق كما جاء في الحديث الشريف: (الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)<sup>٢</sup> وفي المعنى ذاته جاء في انجيل متي: (ماذا ينفع الانسان لو ربح العلم وخسر نفسه)<sup>٣</sup>

وبناءً عليه فنحن بحاجة إلى انفتاحنا وتواصلنا مع النصوص التأسيسية للأديان التوحيدية التي تخزن مضامين انسانية سامية وقيم نبيلة، فالحقل الثقافي الذي يتواصل بفعالية مع القيم والخيارات الكبرى للأديان السماوية هو الحقل والمدى الفكري والإنساني الذي يوصلنا إلى بلورة وصياغة رؤية مشتركة لدور الدين في بناء الانسان؛ إذ أن الأديان نزلت لمصلحة الانسان كما جاء في الحديث القدسي: (خلقت الخلق ليربحوا علي لا لأربح عليهم)<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار طرق النجاة، ١٤٢٢هـ، الطبعة الأولى ٢٦٤/٣

<sup>٢</sup> سنن أبي داود ١٨٩/٢

<sup>٣</sup> الكتاب المقدس - أي كتب العهد القديم والجديد - الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية - لبنان - جمعية الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، العهد القديم - الإصدار الثاني، ١٩٩٥ - ط٤ - العهد الجديد - الإصدار الرابع ١٩٩٣ - ط٣٠.

<sup>٤</sup> صحيح البخاري ٤٣٢/٢

وهذا يعني أن الدين لم يأت ليرجع بالإنسان إلى الوراء ؛بل ليجعله متقدماً متتوراً بنور الله كما جاء في قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) ٥ .

فكل أنبياء الله ورسله أتوا بدين واحد سماوي هدفه سعادة الانسان في الدنيا والآخرة ، وهذا الدين السماوي سماه الله تعالى (الاسلام)،فالدين في جوهره يعود إلى ثلاثة أسس :أولها العقيدة ، وثانيهما الشريعة ، وثالثهما الأخلاق ،فلو أخذنا العقيدة والأخلاق فهي واحدة عند جميع الأنبياء والمرسلين ، ولكن المتبدل هو الشرائع ؛وذلك بحسب اختلاف أحوال الأمم والشعوب الذين كانت تأتيهم رسالة السماء ، وما جاء في سورة النساء من قوله تعالى: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) ٦ ،فقد بينت وحدة الأصل الانساني فهم أخوة من أب وأم يعطي كل فرد من أفراد العائلة البشرية حقوق الكرامة الانسانية دون استثناء أو تمييز قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) ٧؛ فالحقوق الخمسة ثابتة لكل انسان ، وهي حق الحياة ، وحق الطعام ، وحق الشراب ، وحق الأمن ، وحق الحرية.

ولم تتوقف الأديان السماوية عند تلك الحقوق ؛بل تكفلت بتربية الإنسان واعداده إعداداً صحيحاً روحياً ومادياً وفكرياً ليصبح هذا الانسان الركيزة الفعالة في بناء المجتمعات الانسانية المتقدمة والمتحضرة ؛ لذلك أوصته تلك الأديان بكل ما ينفعه ونهته عن كل ما يضره ؛فهي تسعى لتحرير عقل الانسان وتحوله إلى عقل متطور

٥ سورة الاسراء : الآية ٧٠.

٦ سورة النساء : الآية ١.

٧ سورة الاسراء : الآية ٧٠.

ناضج ولم تأت أديان السماء لتتناقض مع العقل والحقيقة ؛بل لتنسجم معها وتنميتها وتتصرها.

وفي سياق بيان دور الاديان في بناء الانسان يتوجب علينا تبيان بعض الأمور المهمة:

### أولاً: لكل أمة كيان وأرث حضاري وثقافي خاص بها

إذا ما فقدت الأمة كيانها وإرثها الحضاري فإن الأمة تفقد هويتها وتلك هي نهايتها فالروح الجماعية تعمل على شد عزيمة الأفراد بعضهم البعض في الدفاع عن الوطن والارتقاء به في محافل العمل المنتجة كل حسب اختصاصه الفلاح في مزرعته ،والعامل في مصنعه والطالب في دراسته والأستاذ في مؤسسته التربويه ، والجندي في سوح القتال دفاعاً عن حياض الوطن وما نريد أن نصل إليه أن الروح الجماعية تمثل حبلًا قوياً يشد هؤلاء وغيرهم إلى بعضهم وروحاً واحدة تجمع قلوبهم وتضيئها بقنديل الأمل المتمثل بالرجوع إلى القيم السامية والمبادئ النبيلة التي تجمع أبناء الوطن الواحد ؛ فمن دون تلك الاصول التاريخية ذات القيم السامية التي يؤمن بها ابناء الأمة الواحدة إيماناً راسخاً يبعثهم على العطاء من أجلها والتضحية لها يسقط الجدار المعنوي لبناء الأمة ومن دون الهدف ذي التجربة التاريخية الذي يكون نقطة ارتكاز لنشاطات الأمة ،ينهار الجدار المادي لبناء الأمة.

وبناءً على ما تقدم فإن أي حضارة لا تستمر ولا ترتقي إلا بتكامل عنصرين مهمين يتمثلان بالعقل والروح ، والفكر والإرادة ؛ لهذا فإننا جميعاً حينما نحكم العقل والمنطق السليم يسهل علينا التعاون والمشاركة الفعالة في بناء الانسان الذي يتطلب منا بشكل مستديم دعمه بالقيم والمبادئ النبيلة التي تزيل ركام الجمود

والانحطاط والتحفيز المستمر في زرع قيم الاخوة والمحبة والتسامح والخير التي توضح البعد الانساني بكل تجلياته في حياة الانسان ، ولعل هذا هو الدور والوظيفة الاولى التي يقوم بها الدين في مشروع بناء الانسان.

ومن معاني بناء الانسان في الاديان السماوية نخرج على بعض منها لضيق مقام البحث فملاً ما جاء في رسالة يوحنا الاولى : (كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس وآثم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثانية فيه)<sup>٩</sup> ، وفي هذه الرسالة كما في جميع الرسائل السماوية دعوة خالصة لنبذ العنف والتخلي بروح العفو والتسامح بين جميع الخلق، كما جاء في الحديث القدسي : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)<sup>٩</sup>.

ونفهم من ذلك أن الاسلام لم يأتي ليلغي الأديان السماوية التي سبقت ؛ وإنما جاء مجدداً ومتمماً لها وهو ما أكد عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين)<sup>١٠</sup>.

وهناك دعوة صريحة في روحية التجديد في الأديان السماوية ، فقد جاء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (بيعت الله على رأس كل مئة سنة من يجدد لأمتي أمر دينها) ؛ فنحن بحاجة إلى إعادة الدين إلى أصالته ؛ لأن الدين من منبع واحد .

وأن الأديان السماوية جميعها دعت إلى بناء الإنسان وحفظ حقوقه ؛ فهي لم تأتي لإرجاع الإنسان إلى الوراء ؛ بل لتجعله متقدماً متتوراً ، وهذا هو ما سعى إليه جميع الأنبياء والمرسلين فهم أتوا بدين واحد سماوي هدفه سعادة الإنسان في

<sup>٩</sup> الكتاب المقدس - أي كتب العهد القديم والجديد - الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية - لبنان - جمعية الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، العهد القديم - الإصدار الثاني ، ١٩٩٥ - ط٤ - العهد الجديد - الإصدار الرابع ١٩٩٣ - ط٣٠ .  
<sup>١٠</sup> صحيح البخاري ٣٥٢/٢ ، وصحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، دار الفكر ، لبنان ، ١٩٩٠م ٤٥٣/٢ .  
<sup>١٠</sup> صحيح البخاري ٤٣٢/٢ .

الدنيا والآخرة ، وهذا الدين السماوي سماه الله تعالى الإسلام ؛ فالدين في جوهره يعود إلى الأسس العقيدة والشريعة، والأخلاق الكلية واحدة عند كل الأنبياء والمرسلين ؛ ولكن المتبدل هو الشرائع بحسب اختلاف أحوال الأمم والشعوب الذين كانت تأتيهما السماء.

### ثانياً: الإنسان القيمة المخاطبة الأسمى.

مثل الإنسان في الأديان السماوية حضوراً قوياً في قيمته الانسانيه ؛ فقد جاء في العهد الجديد أن الله هو الذي خلق الإنسان وكرّمه على سائر خلقه وهو ما في معناه ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)<sup>١١</sup>

### ثالثاً: الإنسان في مستهل الخليقة .

تتباين المسيحية والإسلام في تصورهم للإنسان في مستهل الخليقة فبينما تتصوره المسيحية تصورها أن الكائن أبدعه الحب الإلهي من فيض ذاته ، ويتصوره الإسلام بأن الإنسان كائن أنشأته المشيئة الإلهية خارج دائرة السمو الإلهي ثم ينكر الإسلام كل اتصال بين الإلهية خارج دائرة السمو الإلهي ثم ينكر الإسلام كل اتصال بين التسامي الإلهي والوجود الإنساني في المقابل تتبنى المسيحية عقيدتها على قاعدة الاعتراف بالطبيعة الدينية للإنسان ؛ ولكن نرى الاتفاق الواضح بين المسيحية والإسلام على صفات الإنسان الأساسية فقدت المسيحية الإنسان باعتباره على صورة الله ، وتتنازع صفتان ، صفته الانسانية البشرية ، وصفته الانسانية الإلهية المستمدة من المسيح (عليه السلام) ، وهذا ما جاء تأكيده في القرآن الكريم أن الله خلق الإنسان وقسم خلقه إلى قسمين ، خلقه كبشر من جهة

<sup>١١</sup> سورة الاسراء : الآية ٧٠

أولى ، ونفخ الروح الإلهية فيه من جهة ثانية ؛فيكون الانسان انساناً يستحق أن يكون مستودع أسرار علم السماء ، ومهبط الوحي.

**رابعاً: الكرامة الانسانية كرامة كيانية لا يجوز التفريط بها.**

أكدت الرسالتان أن للإنسان كرامة كيانية لا يجوز التفريط بها على الاطلاق فبحسب التصورات الإيمانية يقوم الانسان في منزله القطب الأساس والمركز ومحور الكون كله ، وكرامة الانسان مسئلة من كرامة الله .

**خامساً: الحرية الانسانية مرتبطة بالمسؤولية .**

أن التصور المسيحي والإسلامي للكرامة الانسانية المرتبطة بالعبادة لا يحرم الانسان المؤمن من الحرية الجوهرية المرتبطة بالمسؤولية ؛فهي تضمن له حرية القول والفكر والعقل ، وتحمله مسؤولية هذه الافعال طالما وهب الله له عقلا وحدد له الضوابط وترك له مساحة الاختيار وهذه الحرية التي هي من الله هي مطلقة فيما يرى الانسان ويعتقد ، وفيما يأخذ وفيما يدع ؛فقد خلقه الله حر التفكير والإرادة والممارسة لتتحول الحرية في حياته إلى عقيدة وإيمان وتصميم وعمل فليس له أن يتنازل عن حريته للآخرين بحجة ضغط الآخرين عليه،ويمكن القول أن أي حضارة لا تبدأ إلا بتكامل عاملين بالعقل والروح ، والفكر والإرادة وبالتالي العلم والإيمان لا يكفي ،وأ

**سادساً : المساواة بين البشر مطلقة وناقصة في آن واحد .**

تدعو الديانتان إلى المساواة المطلقة بين البشر ، وتقول أن هذا الأمر ينبع بالأساس من الخلق ، إذ أن الله خلق الانسان في الأصل من نفس واحدة كما جاء في القرآن ، وكما أشار الانجيل إلى رمزية آدم بأنه الأصل الواحد للبشرية ، وبالرغم من

الديانتان أقرتا المساواة التامة بين البشر إلا أنهما عادا وخرقا هذه المساواة من خلال ما يلي:-

١- التمييز بين المؤمن وغير المؤمن .

٢- التمييز بين الرجل والمرأة .

كما جاء في قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ)<sup>١٢</sup>

والجدير بالذكر أن أي حضارة لا تبدأ إلا بتكامل عاملين مهمين هما : العقل والروح ، والفكر والإرادة ، وبالتالي العلم والإيمان ، والإيمان لا يكفي إنه كطائر بجناح واحد كرجل يملك القوة ولكنه فاقد النظر ؛ ولهذا فإننا حينما نحكم العقل والمنطق السليم يسهل علينا التعاون والمشاركة الفعالة في بناء الإنسان.

كما أن بناء الإنسان بحاجة وبشكل مستديم إلى قيم ومبادئ تزيل ركام الجمود والانحطاط وتحفز قيم الخير الفعالة ، وتبرز البعد الانساني بكل تجلياته في حياة الانسان ولعل هذا هو الدور والوظيفة الأولى التي يقوم بها الدين في مشروع بناء الانسان ، ومهمتنا جميعاً ومن موقع إيماننا الديني أن ننتفح على قضايا الحرية والمساواة للإنسان ، ونتحرك بمحاولات ومبادرات مستديمة للوصول إلى الكلمة السواء في كل القضايا التي تهتم الانسان في استقراره وسعادته.

ومن المعلوم ان بناء الانسان وتنمية مداركه ومواهبه لا يمكن أن يتم إلا بالتنمية دوافع الخير والمحبة في نفس الانسان ؛ فالإنسان الذي يمتلئ قلبه محبة للناس هو الذي يمارس فعل الخير والتنمية في الفضاء الانساني ، والإنسان الذي يختزن في عقله قيم الحوار والالتزام هو الذي يحول حياته إلى شعلة من النشاط والحيوية بما يفيد الانسان الفرد والجماعة ، والدين بما هو منظومة قيمية وأخلاقية وإيمانية هو

<sup>١٢</sup> سورة النساء: الآية ١١.



الذي يُنمي في الانسان دوافع الخير والصلاح ويدفعه نحو تجسيد هذه القيم في الواقع الخارجي ؛لذلك فبمقدار قيم الإيمان من نفس الانسان بذات القدر يمارس الخير وبهذا تتأسس كل شروط مرتكزات البناء السليم للإنسان ؛فمشروع البناء الحقيقي للإنسان يبدأ من نبذ احتكار المعرفة وكتمان الحق ، وحث العارفين والعلماء بنشر العلم والمعرفة وتعميمهما والاحتكام إلى الحجة والبرهان والخروج من كل دوائر الجدل الذي يبتعد عن الحقائق أو لا يستهدف الوصول إليها ،وذلك باتباع اسلوب اللين والكلمة الطيبة قال تعالى:( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)<sup>١٣</sup>

فالأساليب العنيفة والانفعالية في التعامل مع الآخرين ليس من الاسلام في شيء وهي أساليب تهدم ولا تبني ، ووظيفة الأديان في عمليات البناء الانساني تتطلق فيما يتحرر الانسان من كل أساليب العنف والنبذ والإلغاء التي قد يستخدمها البعض باسم الدين أو المذهب أو أو القومية أو غير ذلك.

ولما كان أفق الرسالات السماوية رحب وواسع في نصوصها التشريعية وخياراتها الكبرى فمن الضروري فك الاشتباك والالتحام بين الدين المعياري (وهو مجموعة القيم والمبادئ العليا التي جاء بها الدين ) أو بين الدين التاريخي الذي عاشته المجتمعات الموحدة لله تعالى ؛فإنه يسهم في تجلية وإظهار دور الأديان السماوية في بناء الانسان فإن هذا الدين التاريخي والممارس أضحي كابحاً للإنسان ومانعاً من نيله حقوقه وحرية ؛ ولهذا فإن مرجعيتنا في بيان دور الأديان في بناء الانسان ليس التجربة التاريخية بكل فصولها ومحطاتها ؛ وإنما بعض الحقب المجيدة بإطارها ومرجعيتها القيمة التي مارس الدين فيها دوره التاريخي بكل فصولها ومحطاتها.

<sup>١٣</sup> سورة فصلت : الآية ٣٣.

## الاستنتاجات والتوصيات

### أولاً: الاستنتاجات

١- يُعد الإنسان هو محور النصوص التشريعية في الأديان السماوية من حيث الموضوع والغاية فلا يمكن اغفاله.

٢- تكفلت الأديان السماوية بتربية الإنسان وإعداده إعداداً صحيحاً روحياً ومادياً وفكرياً ليصبح هذا الانسان الركيزة الفعالة في بناء المجتمعات الانسانية المتقدمة والمتحضرة.

٣- من المؤكد أنّ أي حضارة لا تستمر ولا ترتقي إلا بتكامل عنصرين مهمين يتمثلان بالعقل والروح ، والفكر والإرادة؛ ولهذا فإننا جميعاً حينما نحكم العقل والمنطق السليم يسهل علينا التعاون والمشاركة الفعالة في بناء الانسان .

٤- أن الاسلام لم يأتي ليلغي الأديان السماوية التي سبقت ؛ وإنما جاء مجدداً ومتمماً لها.

٥- إنّ الأديان السماويه جميعها دعت إلى بناء الإنسان وحفظ حقوقه ؛فهي لم تأتي لإرجاع الإنسان إلى الوراء ؛بل لتجعله متقدماً متتوراً ،وهذا هو ما سعى إليه

جميع الأنبياء والمرسلين فهم أتوا بدين واحد سماوي هدفه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

٦- أكدت الرسالتان المسيحية والإسلامية أن للإنسان كرامة كيانية لا يجوز التقريط بها على الاطلاق فبحسب التصورات الإيمانية يقوم الانسان في منزله القطب الأساس والمركز ومحور الكون كله ، وكرامة الانسان مستله من كرامة الله .

٧- ان بناء الانسان وتنمية مداركه ومواهبه لا يمكن أن يتم إلا بتنمية دوافع الخير والمحبة في نفس الانسان.

٨- وظيفة الأديان في عمليات البناء الانساني تتطلق فيما يتحرر الانسان من كل أساليب العنف والنبذ والإلغاء التي قد يستخدمها البعض باسم الدين أو المذهب أو القومية أو غير ذلك.

٩- ان مشروع البناء الحقيقي للإنسان يبدأ من نبذ احتكار المعرفة وكتمان الحق.

١٠- إن مرجعيتنا في بيان دور الأديان في بناء الانسان ليس التجربة التاريخية بكل فصولها ومحطاتها ؛ وإنما بعض الحقب المجيدة بإطارها ومرجعيتها القيمة التي مارس الدين فيها دوره التاريخي بكل فصولها ومحطاتها.

## ثانياً: التوصيات .

- ١- وضع رؤية واضحة تسهم في بناء الانسان بناءً ينسجم مع قيم الرسالات السماوية في المحبة والمؤاخاة والعفو والتسامح.
- ٢- ضرورة انفتاحنا وتواصلنا مع النصوص التأسيسية للأديان التوحيدية التي تختزن مضامين انسانية سامية وقيم نبيلة.
- ٣- اعداد وبناء برامج التنمية البشرية تتوافق مع تطلعات المجتمعات الانسانية ابتداءً من كينونة الانسان في رحم أمه وتتبعه إلى المراحل المتقدمة من العمر.
- ٤- تكثيف البرامج الحوارية البناء التي تقوم على أسس رحبة وفضاءات واسعة تسهم في بناء الانسان بناءً سليماً.
- ٥- تهيئة مؤسسات المجتمع المدني (التنمية البشرية) والمؤسسات الحكومية التربوية من حيث البنية التحتية والبرامج التنقيفية والتربوية التي تقوم على أسس سليمة هدفها بناء الإنسان كإنسان يؤمن بحق الآخر أيّاً كان دينه أو مذهبه أو قوميته وفق النظرية العلوية (الناس صنفان: أما أخ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق).

